

كلمة البروفسور سليم دكاش اليسوعي، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في حفل تخريج طلاب التواصل حول "الوساطة والحوار اللاعنفي" بالتعاون مع مركز الوساطة في جامعة القديس يوسف ومنتدى التنمية والثقافة والحوار (FDCC)، يوم الجمعة الواقع فيه ٢٢ شباط (فبراير) ٢٠١٩، في أوتيل جفينور روتانا، شارع كليمنصو، الساعة السادسة والنصف مساءً.

لا بدّ لي أن أوجّه كلمات التهئة لمنتدى التنمية والحوار المتعاون مع مركز الوساطة في جامعة القديس يوسف في بيروت، على تنظيمه هذه الحلقات الدراسية حول دور الوساطة في المجتمعات بشكل عامّ وفي المجتمعات المواجهة للأزمات وللحروب بشكلٍ خاصّ وبالتالي تدريب هذه المجموعة من طلاب العلم على فنون الوساطة ومبادئها. وإذ نهنّي المنتدى بشخص أمينه العامّ القسّ رياض جرجور ومركز الوساطة المهني في الجامعة بشخص مديرته جوانا بو رجيلي، فإنّه ليس من الطبيعي فقط بل من الضروري أن ألفت وأن أنظر في كلّ شخص منكم تابع هذه الحلقات والتزم بها واكتسب منها الأفضل والأفعل له ومحيطه، فأهنّته وأهنّي الجميع ومنهم المدريين والأساتذة والأهل والأصدقاء على الشهادة التي سوف تحملونها اليوم تقديرًا لكم واعترافًا بأنكم أصبحتم من عائلة الوسطاء الإجماعيين والمهنيين التي يكبر عددها ويتوسّع كلّ يوم للإجابة على الكثير من الحالات الصعبة في مجتمعاتنا وبين الأفراد.

لماذا الوساطة والوسطاء؟

تعرفون ربّما الجواب : فحيث المجتمع، حيث الإجماع البشريّ، والإجماع البشريّ هو كناية عن علاقات مركّبة بين الأفراد والعائلات والجماعات والقبائل. إنّها علاقات على مستويات متعدّدة، كالإقتصاد والتجارة والسياسة والرياضة وغير ذلك من الميادين. يقول عالم الإجماع مارسيل موس (Marcel Mauss) "إنّ العلاقة المتوتّرة بين جماعة وأخرى، مع خطر اندلاع نزاع عنيف بينها، تبدأ عندما يسطو أحد أفراد القبيلة على امرأة من قبيلة أخرى ليختطفها ويجعلها زوجةً له ويدخل الحكماء من هنا وهناك في وساطة لإيجاد الحلّ بدل الحرب، ونعرف أنّهم يقترحون ما يسمّى بالمبادلة، وبالتحديد مبادلة الفتاة بمهرٍ يبلغ مئة رأس من الأغنام". وما هذا

المثل على مستوى الحياة الجنسيّة، سوى نموذج من التوتّر الذي يصيب العلاقات بين إنسان وآخر، والإنسان لا يقدر أن يعيش بمفرده بل هو بحاجة إلى أن يكون مع آخرين، مثل الرجل الذي يريد أن يبني أسرةً له.

من هنا، نشأت في المجتمعات وبين المجتمعات إرادة المصالحة وفقّ الوساطة وتبريد بؤر النزاع على يد حكماء يأخذون وقتهم ويكرّسوا الطاقات لتقريب وجهات النظر للوصول إلى حلول تزيل العداوة وتحفظ مصالح الطرفين أو الأطراف وبالتالي يحلّ السلام والوئام على مستوى القلوب والعلاقات الاجتماعيّة.

ما هو جوهر وقاعدة الوساطة؟

لستُ بوارد السعي إلى اكتشاف التقنيّات التي تتيح للوساطة بأن تكون ناجحة فهذه أمور تعلّمتموها واكتسبتم ما اكتسبتم منها على الصعيد المهنيّ. أعتقد أنّ جوهر الوساطة أو القاعدة الفلسفيّة والروحيّة التي ينبغي وضعها والتماسها دومًا هي مفهوم الأخوة الإنسانيّة وهذا ما فكّرت به عندما اطّلت على الوثيقة التي أصدرها معًا، من خمسة عشر يومًا في أبو ظبي، قداسة البابا فرنسيس وشيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيّب. إنّهما أدخلتا إلى قاموس الأديان وخصوصًا المسيحيّة والإسلام مفهومًا قديمًا جديدًا. وهو قديم لأنّ الدينين يقولان بهذا المفهوم منذ أمد بعيد، إلّا أنّه مفهوم جديد إذ يجعل القاعدة التي تُبنى عليها منذ الآن نظرة المسلم إلى المسيحيّ والمسيحيّ إلى المسلم هي أنّهم إخوة في الإنسانيّة وهذا ما يذكّرني بقول الإمام علي بن أبي طالب: "الناس صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق". وعندما ندخل في عمل وساطة للمصالحة أو لتقريب وجهات النظر بين مختلفين فإنّه من الجيّد أن تقوم هذه الوساطة على مبدأ مشترك وعلى قاعدة صلبة هي أنّ المختلفين أو المتنازعين هما في الأساس يشتركان في جوهر واحد هو جوهر الأخوة الإنسانيّة التي ينبغي أن يُحافظ عليها وأن يُبنى عليها السلام والمصالحة لأنّ هذه الأخوة هي قيمة ثمينة لا نستطيع التفريط بها.

لماذا نتدرّب على الوساطة؟

أقول إنّ الوساطة ليست مهنة من المهن بقدر ما هي فنٌّ من الفنون لأنّ فيها الكثير من الكلام والجدال والمنطق واستخدام الانفعالات والعواطف. نتدرّب على الوساطة لأنّ الأزمات والحروب والإنكسارات التي نعيشها هي صعبة على مختلف الأبعاد والمستويات وخصوصاً العائليّة منها والسياسيّة. لذلك تطوّر فنّ الوساطة ليصبح علمًا ويتحوّل إلى ثقافة نحن بحاجة لأن نكتسب أدواتها وآليّاتها فنطبّق منها ما هو مؤاتٍ للحالات المعيّنة التي نعالجها ونهتمّ بالوصول إلى حلول لها. ولا شكّ أنّ دور الوسيط هو مركزيّ في عالم اليوم، وأمامه الكثير من العمل والإلتزام، ولا عمل جدّي من دون التزم، ولا معنى للإلتزام من دون عمل وجهد ومثابرة، من خلال استخدام الأدوات والتقنيّات والآليّات التي تساعد في المعالجة. ولدينا في الدكتور غسّان سلامه في ليبيا وغيره هنا وهناك أمثلة ناجحة في ما يكون عليه الوسيط الناجح.

أحبّائي المتخرّجين،

أمل أن تكونوا أيّها الطلاب الأعزّاء قد بدأتم في هذا العلم المتعالي، علم الوساطة، وأن تنتظروا يوم غد لتصبحوا وسطاء كلّ في محيطه المهنيّ والإجتماعيّ. تهانيّ القلبيّة إلى كلّ واحد وواحد منكم.

عشتم، عاشت الوساطة،

وعاش لبنان.